

فتح القدير

10 - { إذ جاءوكم من فوقكم } إذ هذه وما بعدها بدل من إذ الأولى والعامل في هذه هو العامل في تلك وقيل منصوبة بمحذوف هو اذكر ومعنى { من فوقكم } من أعلى الوادي وهو من جهة المشرق والذين جاءوا من هذه الجهة هم غطفان وسيدهم عيينة بن حصين وهوازن وسيدهم عوف بن مالك وأهل نجد وسيدهم طليحة بن خويلد الأسدي وانضم إليهم عوف بن مالك وبنوا النضير ومعنى { ومن أسفل منكم } من أسفل الوادي من جهة المغرب من ناحية مكة وهم قريش ومن معهم من الأحابيش وسيدهم أبو سفيان بن حرب وجاء أبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة من وجه الخندق ومعهم عامر بن الطفيل وجملة { وإذ راغت الأبصار } معطوفة على ما قبلها : أي مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها مقبلا من كل جانب وقيل شخصت دهشا من فرط الهول والحيرة { وبلغت القلوب الحناجر } جمع حنجرة وهي جوف الحلقوم : أي ارتفعت القلوب عن مكانها ووصلت من الفرع والخوف إلى الحناجر فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها وهو الذي نهايته الحنجرة لخرجت كذا قال قتادة وقيل هو على طريق المبالغة المعهودة في كل العرب وإن لم ترتفع القلوب إلى ذلك المكان ولا خرجت عن موضعها ولكنه مثل في إضرابها وجنبها قال الفراء : والمعنى أنهم جبنوا وجزع أكثرهم وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة ارتفع القلب إلى الحنجرة ولهذا يقال للجبان : انتفخ سحره { وتطنون بائ الطنونا } أي الطنون المختلفة فبعضهم طن النصر ورجا الظفر وبعضهم طن خلاف ذلك وقال الحسن : طن المنافقون أنه يستأصل محمد وأصحابه وطن المؤمنون أنه ينصر وقيل الآية خطاب للمنافقين والأولى ما قاله الحسن فيكون الخطاب لمن أظهر الإسلام على الإطلاق أعم من أن يكون مؤمنا في الواقع أو منافقا .

واختلف القراء في هذه الألف في { الطنونا } : فأثبتها وصلا ووقفا نافع وابن عامر وأبو بكر ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو والكسائي وتمسكوا بخطف المصحف العثماني وجميع المصاحف في جميع البلدان فإن الألف فيها كلها ثابتة واختار هذه القراءة أبو عبيدة إلا أنه قال : لا ينبغي للقارئ أن يدرج القراءة بعدهن بل يقف عليهن وتمسكوا أيضا بما في أشعار العرب من مثل هذا وقرأ أبو عمرو وحمزة والجحدري ويعقوب بحذفها في الوصل والوقف معا وقالوا : هي من زيادات الخط فكتبت كذلك ولا ينبغي النطق بها وأما في الشعر فهو يجوز فيه للضرورة ما لا يجوز في غيره وقرأ ابن كثير والنسائي وابن محيص بإثباتها وقفا وحذفها وصلا وهذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الألف هي التي تسميها النحاة ألف الإطلاق والكلام فيها معروف في علم النحو وهكذا اختلف القراء في الألف التي في قوله {

الرسولا { و { السبيل } كما سيأتي آخر هذه السورة